طويلا قبل ان يجيب ، فلقد كانت ملاحظة جديدة وغريبة بالنسبة له ... وكأنه قد تذكر الارض فقال :

ـــ لانهم يعملون بأيديهم ...

أجل لانهم يعملون بأيديهم في ـــ التراب ـــ وهو يعمل بيديه في ـــ النار ـــ هو الطفل الفلسطيني الذي بدأ تعامله مع النار وهو لم يتجاوز العاشرة من عمره ... ولم يكن يخطر له على بال في ذلك الوقت ، ان التحام النار الفلسطينية ، بالتراب الفلسطيني ، هو وحده الذي سيصوغ الوجه الجديد ، لوطن اسمه : فلسطين ...

● ●

طيلة أيام وليالي الاجازة الصيفية ، كان يقضي الساعات الطويلة ، خلف الوجاق ، في مقهى ... أبيه ... كان يصنع ويقدم أقداح الشاي ، الى تلك الايدي الكبيرة التي اسمها : الفلاحون ...

بعد أن تنتهي ايام وليالي الاجازة ... ، كان عليه ان يعود الى المدرسة ... ان يعود الى القراءة والكتابة ... واللوح الاسود ، واصابع الطباشير ...

وما اكثر ما كان ينظر الى يد مدرسه ، وهو يكتب فوق اللوح الاسود ... باصبع الطباشير ، ويفاجأ الطفل ، ان يد مدرسه ، كبيرة هي الاخرى ، كأيدي الفلاحين ، الذين كان يقدم لهم اقداح الشاي ، وكم كان يلح عليه ، ان يسأل مدرسه ، كما سأل والده ، ذات ليلة :

ـــ لماذا يدك كبيرة ...؟

ولعل ذلك المدرس ، لو واجهه ذلك الطفل ، بذلك السؤال عن يده لاجاب :

ـــ لانني أكتب ... يا « باجس أبو عطوان ... »

الان اقدم لكم اسمه ... « باجس ابو عطوان » ...

هكذا وبكل ما في اصبع الطباشير من عفوية ، وبكل ما في الفأس من عفوية وبراءة ... يبدأ الطفل ، يربط بين صورة اصبع الطباشير ، وبين الفأس ... لقد اتحدت الصورتان ... في صورة واحدة ... ومنذ ذلك اليوم ، احب « باجس أبو عطوان » ، أولئك الذين يفلحون الارض بالفؤوس ، وأولئك الذين يفلحون الورق بالاقلام ...

● ●

ـــ « باجس » ، هل تعبت ...؟

كان الاب يسأل ابنه ، وهما ينطلقان من « دورا » الى « خربة الطبقة » .

ولعل الطفل قد تعب ، ولكنه فيما يشبه الاصرار الطفولي على رفض التعب كان صوته يرتفع :

ـــ لا ... لم اتعب ...

معجزة الفلسطيني في قدمه ، وانا لا اكتشف سرا للعدو ... فالفلسطيني يذبح من قدمه ... ومن اجل هذا « فهم » يعطون الفم الفلسطيني الف كيلو متر من الهواء ... لكي ينطلق فوقه صوته ومن اجل هذا « فهم » يعطون اليد الفلسطينية ، الف كيلو متر من الورق لكي تكتب فوقها ... اما امام القدم الفلسطينية ... فهناك الاسلاك المكهربة وهناك الاسلاك الشائكة ... ، وهناك حقول الالغام ... وهناك مليون جرس انذار ... يدق ... كلما لمست قدم فلسطينية ، شبرا من الارض ...